فوزى العنتيل

رحلة فى أعماق الكلمات

شعر

دار المعارف

تصميم الغلاف : شريفة أبو سيف

الناشر : دار المعارف – ١١١٩ كورنيش النيل – القاهرة ج . م . ع .

تقديم

بين أوراقى المطوية منذ عقد الستينات وجدت سطوراً مكتئبة كنت أعتزم أن أقدم بها مجموعة قليلة من القصائد والمقطوعات التى لم تتم عزمت على نشرها تحت عنوان « أغنيات بلا نهاية » .

وكانت هذه القصائد تمثل ما كتبته بعد صدور الطبعة الأولى من ديوان « عبير الأرض » فى عام ١٩٥٦ . بالإضافة إلى بعض النماذج التى لم يتضمنها هذا الديوان . هذه السطور تصور شعور الاغتراب الذى غشى روحى خلال هذه الحقبة المضطربة ، والتى أريد أن أشير إلى بعض ملابساتها بعد أن يعبر القارئ مسافات هذه السطور المنسية :

١

« فى منتصف عام ١٩٥٩ كتبت قصيدة : « السندباد العربى » ، وبعدها عبرت البحار إلى إحدى الجزر النائية ، إلى « أيرلندا » عروس الأساطير الكلتية . وهناك ، سقطت فى غيبوبة الجمال الوحشى بين الغابات المعلقة على قنن الجبال وتحت البحيرات المختفية فى جنبات الوديان المعشبة ، بين أشجار « السيكامور » وأزهار الشمرك .

واتخذت البحار رفيقاً مستلقياً بين أحشاء البواخر ، يغترف سمعى صيحات طيور النورس على زبد أمواج بحر الشمال .

. . . وتفزعت روحى ذات مساء من مشهد القمر الخرافى الذى برز لى فجأة على شاطئ الأطلسى فى « دينيجول » وأنا مستغرق أحدق فى الأفق البعيد أتسمّع أصوات سنابك الجياد العربية فى السهول ، فى ذلك الجانب المقابل من الأطلسى ، والذى كان يوماً اسمه « الأندلس » . وظننت للحظة أننى أستطيع أن أتحسس مفتاح بيتنا فى قرطبة .

وسبحت على أجراس أعياد الميلاد ، وندف الثلوج ، وعيون

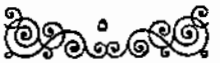

الصبايا الجميلات ، وموسيقى يوهان اشتراوس تعزف للبحارة رقصة الدانوب الأزرق فى صالة المتروبول ، واخترقت جسمى رصاصة حين عدت إلى الماضى لأطالع وثيقة استقلال أيرلندا على جدران مكتب البريد العام فى دبلن . .

وعلقت فى مشانق الثورة ، وبعثت من جديد فى رسوم المسلة المصرية فى ميدان « الكونكورد » فى باريس ، ثم طرت مع السنابل عبر سهول الحنطة فى الدانمرك ، وأوراق الخريف فى غابات السويد ، وامتزجت بمياه البلطيق وهى تدغدغ أقدام « استكهلم » العارية ، وتعذبت فى عيون « آن » الحزينة تحت رذاذ المطر فى محطة سكة الحديد فى « أبسالا » . . ثم لا شىء . . يدان تنزفان بدم الذكريات ، وفم أخرس ، وقلب دفنته فى جليد الغربة . . .

٢

هذه الكلمات كانت وداعاً للقلب وللشعر ، الذى كنت أعتقد أن ما بينى وبينه قد انقطع إلى الأبد .

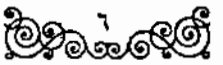

حين عدت من بعثتى لدراسة الفولكلور فى آخر عام ١٩٦١ .
كان مناخ الإبداع الفنى والفكر فى مصر قد دخل مرحلة المحاق ، ثم أخذت بعد ذلك رياح الفزع تهب من كل مكان ، فأصبح كل شىء فى مستوى الموت .

وكنت متعب الجسد والروح فقلت لنفسى هذا زمان لا ينفع فيه الشعر ، زمان علت فيه صرخات المتشنجين والمهرجين بينما طلقات البنادق فى الفجر تطارد الكلمات وتخنق المشاعر .

وصرفت همى إلى موضوع « التراث الشعبى » أريد أن أقدم شيئاً نافعاً جديداً ، وحتى هذا حملنى عنتاً ما بعده عنت ، حين لاحقنى أحد وزراء الثقافة السابقين دون سبب مفهوم، مرة حين دعوت إلى بناء « أرشيف علمى للفولكلور » ، ومرة حين تقدمت بكتابى عن الفولكلور لجائزة الدولة . فى عام ١٩٦٨ .

ولكن هذا حديث آخر .

٣

عشر سنوات مضت منذ عودتى من أوربا باعدت بينى وبين الشعر ، ثم غلبنى الشعر على أمرى فكانت بداية أخرى فى

قصيدة : « رحلة فى أعماق الكلمات فى عام ١٩٧١ . ثم بضع قصائد تالية يجدها القارئ فى هذه المجموعة بعد ذلك التاريخ .

ولسوف يلحظ القارئ بعد مسافات الزمن بين القصائد فى هذه المجموعة التى جهدت أن أتذكر تاريخ كتابة ما استطعت تذكره منها . وكثير منها لم ينشر من قبل ، وبعضها كان أغنيات بلا نهاية ، وئدت فى لحظات الميلاد . . .

أوراقاً مطوية أثقل روحى أن تظل مهملة ، وأرجو أن تكون جديرة بالنشر بعد هذه الأعوام الطويلة . .

فوزى العنتيل

إهداء

إلى ولدى الصغير الذى لا يعرف . .

* * *

. . لا يعرفُ أنى فى عينيه الضاحكتين
رأيت الدنيا ومفاتنها ؛
أشواقَ بحارٍ يسبح فيها الموج إلى الشطآنْ
وسماءً تضحك فيها الماسات
إلى الوديانْ
وحدائقَ فل . . يهتزّ الشجر الأخضر فيها
بالنور الغارق فى نهر الألوان
يغرد أزهارا . . يتموج حُبا
يتنفس عطرا . . وحناناً
يفتح نافذة للفجر الوردى النعْسانْ

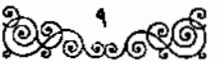

ليزقزق عصفورٌ نَزِقٌ
يلهو بجناحين .. صغيرين
يَصفرُ لحنًا فَرِحاً مشبوبا
يتدفق ملءَ شرايين الأغصان
يغمر روحى بالسحر الغامضِ
بالبهجة ترقص فى قلبى . .
. . يا حبى . . يا آخر حبى
. . يا أعظم حبى . !

بودابست أغسطس ١٩٦٧

تنويعات صوفية

يغشانى الحزْن إذا الليل تجهم
واستلّ حسام الظُلْمة
كى يضرب أعناق الأنجم . . . !

* * *

تنهمر العتمة فى الآفاق
وتجرى فى الأنهار الفحمية
تتساقط أدمغ نجمهْ
. . فى خلجان الليل الوحشيهْ

* * *

يقهرنى الحزن ، ولكنى
لا أقدر أن أذرف دمعهْ
فالدمع تجمد فى الأحداق . ! !

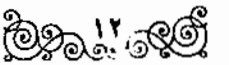

أحلم ساعةً بأن ضوء فجرها
سوف يمر من هنا . !
سوف يمر هامساً إلى الربى بعطرها
فتنبتُ الزنابق البيضاء فى الجبالْ
وتورق الألوان فى بحيرة الظلالْ

* * *

من ألف عامٍ ، وأنا معذب بسرها
أخاف إن بحتُ به يمزقون سترها

* * *

وذات يوم ذرّت الشمس شعاعَ تبرها
على جدائل الشمس التى فى شعرها
فانسكبتْ روحى وذابت فى رحيق ثغرها
فلم أبحْ بسرها . . !

* * *

يا لَيْلَى :

أسرَى الحلاّج إلى أغصان حديقتك الزرقاءْ
ناداه الوجد فعانق نور أناملك البيضاء
ضحك الحلاج فغنّينا . . وتساقينا
وتفرقنا . . وتلاقينا . .
ارتعش البحر ، ورقص الزهر ،
. . وصلّى الفجر على الندمانْ
والقمر الأخضر – ياليلى – عَبَر البستانْ
قمر العشاق اخضلّ . . تدوّر . .
صار زمردة خضراء
فانكسر الموج على الشطآن
وفاض العطر على السمّار
فعاد الشوق إلى آذار .
وصبا تمّوز إلى عشتار . . !

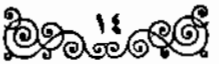

– لكنك يا « بشر الحافى » مزقت رداءك
فى تشرين
لو أنك لم تسجر روحَك فى تنور الصحراء
لصار السيف شعار جميع المظلومين . . !
– لو أنك عشت على أيام « صلاح الدين »
لو أنك أبصرت الرايات تطير
على أجنحة الفجر المنشور على حطين
لو أنك لم تغرق . .
لم تنبت أشواك الصبار على أسوار فلسطين . ! !

* * *

– لو أن الهِرّ المشتعل الأوداج
كسباع النافورات العاجيهْ
لو أن المعتمد الأشْبيليَّ تدبّر
فى معنى : « لا غالب إلا اللهْ » .
ماراحت مئذنة أندلسيهْ

تشهق فى استحياء . .
لم تسقط راية « طارقَ »
من سارية الحمراء
لم يأكل لحمى الغرباء . !

* * *

– بدلا من أن تسجن روحى فى حصن الكرك
وتمزق أجنحتى الذهبيهْ
بدلا من أن تُغرِق أشرعتى البيضاء
فى عاصفة النفط المسموم
وتحطم سفنى فى الميناء
– بدلاً من أن تجعل وجهى كالدينار الزائف
بدلا من أن تصلبنى فى جذع النخلهْ
وتجرجر جسدى فى دجله
بدلاً من أن تدفن قلبى
فى غابات الأردنّ المبتلة

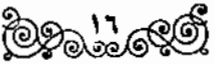

اقتلْ أعداءك . . يا قابيل . . !

* * *

– الليل تجهم يا قابيل
« والأرض العطشى قد فتحت فمها
تشرب من كفّيك دماء أخيك »

* * *

ويمد الليل ذراعيه
يستل سيوف الظلماتْ . .
وبرغمى تسقط من شفتى
– فى نهر الليل – الكلماتْ
فيشق ضياؤك ياليلَى
ثبج الطوفان
والريح تصر، تدور الريح ، يقر الموج
وترتفع الألحانْ . .

* * *

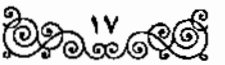

– ياليلى . .

ذودى غربان الليل عن البستان

فلسوف يمر هنا

طاووس الفجر المزدهر الألوان

ويرف الفل ، ويهمى الطل

وتورق أغصان اللبلابْ

وأرى وجهك ياليلى من غير نقاب

فالوردة جرّحها الشوق الدافئْ

لغناء البلبل . . ياليلَى .

والفجر يدق الأبواب . . !

(أغسطس ١٩٧٣)

رحلة فى أعماق الكلمات

الماضى يرقد فى أكفان الكلماتْ
يتنفس . . ينبض فى الظلمات
الماضى : روحٌ . . ورفات
زمن يتجدد ، سجن تسقط فيه الشَّارات
سجن يتكوكب فيه عبيد ، وطغاة
يصبغ سخرية الملهاة بأحزان المأساة

* * *

ويموت الزمن المقهور لِيُبعَث فى كلمات
تحكى عن صدأ القضبان وعن ميلاد الثورات

١

– كانت كلماتى أغنيّات
رؤيا يتجسد فيها ما هو آت
ينبوعاً يحلم بالجنات
يُشمِسُ فى وديان الفل
ويُقمر فى الفلوات
– « الزهر تبرج فى نيسان
والماء تواثب فى قنوات البستان »
وغفوتُ على لحن الألحان .
فى الصمت الوردى الألوان
أغلقت القلب على إيقاع الأمنيّات . .
دهراً ، لا أعرف أين مداهُ ولا مجراهُ
دهراً يتدفق مثل الأكوان
على تاريخ الإنسان . .

وصحوتُ ، بلا ذكرى . . وبلا نسيان
فرأيت الموت على الأغصان
يُلقى أكفان الموتى
للأحياء بلا أكفان . . !

* * *

فى ليل الصمت ، أضعتُ الصمت
دفنت الحزن بصحراء الموت
كلماتى الحُبلى بالكلمات
نزفتْ . . رجفتْ . . فارتْ
كالبحر الهادر مختنق الصوت . .

* * *

بالأمس صرختُ ، وصليت ، وعانيتْ
لم أبك الموتى حين بكيت
بكائى كان لمن عاشوا فى هول الموت . . !

* * *

صرخَتْ كلماتى
فى الصمت الداكن فى البريهْ
نشرَتْ أجنحةً مبتلهْ
بعذاب الرحلة . . للحريْه
طارت فوق ثلوج الغربه
فى ليل جبال شاهقة الظلمه
تاهتْ أعناق أعاليها فى المرتفعات

٢

فى سِفْر الغربة طالعنى
وجهٌ عربى القسَمات
يبحث عن نهر اليرموكْ
فى جوف كتاب ممتقع الصفحات
وصَمَتُّ ، فخانتنى العَبَرات
– « خالدُ » يا بطل اليرموك

لقد خذلتنى الكلمات

– يا سيفَ الله :

جالدتَ صناديد الفرسان

وعرفتَ نزال الأقران

وبلوتَ الموتَ القزحىّ الألوان

حدثنى ، عن قَدَرِ الشجعان

– والله ، لقد قاتلت .

امتلأ الجسم ندوبا . . وسيوفا . .

لم يبق بجسمى شبر تلثمه الطعنات

وبرغمى فوق فراشى الآن

أموت ، فلا نامت عين الجبناء . . !

٣

ومشى الزمن السحرى الخطوات

فتجمد من حولى بحر الصحراء

وانشقتْ حجب الغيب عن العبْسى
يجر الرمح على الفلوات
فاهتز رماد الأشواق المنطفئات
– يا عنترة العبسى ؛ هتفتُ ، حزين النبرات :
كلماتك عانقها سيفك
فى عرس الدمْ
فتلألأ نور حسامك فى فجر الكلمات
ودعاك الموت فلم تحجمْ
حدثْنى كيف مذاق الموت ؟ وما لونه ؟
أنشدْنى ، حتى تزهر فى روحى الجنهْ[1] .
– « يفيض سنانى دماء النحور
ورمحى يشك مع الدرع قلبهْ
وأفرح بالسيف تحت الغبار
إذا ما ضربت به ألف ضربهْ

(١) الجنة تحت ظلال السيوف .

ولو أن للموت شخصاً يرى
لروعته ، ولأكثرت رعبه »[1]

٤

وطوينا سِفْر الملحمة العاتية النغمات
ونشرنا الإصحاح الثالث من إنجيل المأساة
بلغنا نهر اليرموك . .
عبرنا النهر الغارق فى الظلمات
على إيقاع المرثيات
ومشينا فى لغط الماضى
بين الأصداء المختلطات
وقطعنا سرداب اللعنات . .

* * *

(١) من شعر عنترة العبسى .

واغرورق بالدمع فؤادى
لما شارفنا البيداء
وتهاوى القلب الظامى
فوق الكثبان البيضاء
ومضت أزمان شاحبةٌ
تتواتر فى إعيـــاء

ودخلنا فى لجج الإسراء
حتى صدح الفجر يؤذن من حلب الشهباء
وانبعثت رنات نشيد
يصعد فى شرف الجوزاء

هذا صوت « المتنبى » ينشد ملحمة الخيلاء
– حيّاك المجد ، أبا الطيّبِ .
يامن ذبحته الكلمات
عرفتْك الخيل ، وريح الليلْ . .

لكن جحدتك البيداء . [1]

* * *

أبصرتَ نواطير الكرم
تحملق فى بحر النوم
ورأيت ثعالب مصر الكالحة الألوان
تتواثب بين أماليد الكرم
وتعيث فساداً فى البستان . . !

* * *

طعمتْ ما شاءت . . غنتْ
ثملتْ . . طربتْ . . ذهبتْ . .
عادت تتوسد صدر الإيوان
لتقيم العدل . . !
– وانطلقت رسلُ السلطان
تزف البشرى فى الطرقات :

---

(١) المتنبى : « الخيل والليل والبيداء تعرفنى . . » . .

– « مُدّ سماط العدل
وتآخى الذئب مع الحمْلان »
– « اختلط الفارس بالنابل
والمقتول اعتنق القاتل »
– « وضعَ السيفُ الميزان
ما عادت أقدام العسس ولا السجّان
تدوس بساط الليل
ولسوف يوفّى لكمُ (الحجاجُ) الكيل »

* * *

جن العقل
وانسدلت أقنعة الذل
وافتُضَّتْ أسرار أبى الهولْ
فتدفق مال السلطان
نهراً تغرف منه خوابى الأَغَواتْ .

٥

– يا شاعر « سيف الدولة »
يا من صرعَتْهُ الكلماتُ المنتقمات
عوفيتَ ، فلم تشهد عصرَ التترى
لم تبصر هولاكو ، فى جحفله الهمجى
يجتاز النهر على جسر الكلمات
تُرَشّ على نعليه الجافيتين دماءُ العلماء
وتدوس الخيلُ أغاريدَ الشعراء
وأنينَ الحكمة . . والحكماء

* * *

تتمزقُ تحتَ سنابك خيل السفاح
حضارةُ عصر
ونبالة عصر
وتُدوّم شمس الفكر

وتغربُ فى أعماق الماء

* * *

قال الراوى :

وبلغْنا آخر سطر

فانحسرتْ أمواج البحر

وأزحنا أهدَاب الستر

فانهمرت أضواء البدر

لكن الرحلة لم تبدأْ . .

حتى تتجمع فى الأفق الشرق رياحُ الفجرْ

فلنفترق الآن على خير

وغداً موعدنا . .

فالرحلة تبدأ من ساحلِ مصر ، ، ،

مايو ١٩٧١

بطاقة بريد من (سراييڤو)

هنا « سراييفو » . . معلّقة فى حواشى السحاب
عُقاب جناحاه مبسوطتان
على ألفِ دار
وعيناه – فى الليل – ياقوتتان
خرافيتان . تسطع ألوانها بالقباب

* * *

هنا الثلجُ يسقط فوق الجبال
ويكسو المناراتِ التى تتنهد لاهثةً بالأَذان
وقد صدأ الدهر من حولها . . وتعرتْ
من الدهشة القباب التى ركضَتْ
حولها الخيول زماناً . . ورنتْ
على الهضباتْ السيوف

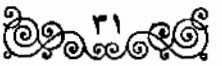

ودوّت بصوت المؤذن ذاتَ صباح
أعالى الجبال ، فاهتزت السهول
الفِساح
سهول سراييفو . . ارتجف النهر
لكنه الآن . . لا يتموّج
. . يدلف همسا . .
تكاد المياه فى نَهرِ « البوسنة » المتعرج
تجهش وهى ترى (المنارات) خرسا
تُتَمتِمُ فى لكنة أعجميهْ . . !
. . ويذوى الصدى . . فى دموع المطر

* * *

هنا سراييفو . .
. . وانتهك السائحون المساجد
أقدامهم تتعثر وهى تدوس بقايا المطارف
وأعينهم حملقت فى السقوف

التى ازدهرت بالزخارف
ويسألنى ذلك الأعجمى :
– أين بطاقتك ؟ . ادفع إذا شئت
أن تتجولَ عبر الدهاليز
. . وأنظر فى دهشة المفزّع
من سرحةِ الذكريات
ولكنما صوته يلاحقنى ، دون رحمهْ :
– بارليه فرانسيه ؟
وأصمتُ فى حيرة . . وأدور
على عقبىّ ، فلست أريد
امتهان قداسة هذى المزارات

* * *

– بارليه فرانسيه ؟
– أنا (جمالْ دِينْ . . أنا مُسْلِمان)
(ألله أحد . .

. . أبى مايزال يقيم صَلاَتْ)
وتسطعُ فى وجهه كالغريق
التماعات ماضٍ قديم
وحين تلفتُّ عبر الطريق
كانت هناك . . مسمرةً تتألم
– فى وَهَن – تحت فيض المطر
تحمل طفلا ويهتف ممتقعا صوتها :
« صَدقاتْ » . . !
وحدقت نحو قباب المساجد
والمئذنات التى مايزال
يغمرها وهج الذكريات
– . . لو أنها قدِمتْ ذات يوم
إلى عتبات السلاطين
لأقطعتها ضيعة فى السهول

* * *

ولكننى الآن . . واخجلتاه
غريب هنا . . عابر كالغمام ؛
الذى كان يسبح فوق الجبال
والثلج يشعل رأسى بالشيب
والقلب يرجف حزنا
ووجهى غريب كهذى المآذن
حين يظللها الليل تطرق
شاحبة فى أعالى الجبال . . !

(بيوجراد - أبريل ١٩٧٦)

الحصان المسحور

« . . ولكننى . أنا الفقير . لا أملك غير أحلامى ، نثرت أحلامى تحت قدميكِ . فسيرى برفق . لأنك تمشين فوق أحلامى . . . . .

(و . ب . ييتس)

١

من أين أتى هذا الشيطان المسحورْ
ذو اللون الغارق فى أطياف النور . . ؟
لا . . لم يلكُ دميةَ مثّال
أو قطًّا وحشيًّا فى زىّ حصان
أو وَهْماً تتمثله العينانْ

* * *

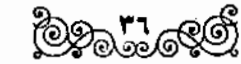

الصبوةُ تسرى فى هيكله المحبوكْ
وقوائمه المجدولة كالذهب المسبوك
والشعر الأملس . والأذنانْ

* * *

من أى عناصر هذا الكون تآلفت الأعضاء . . ؟
دقّتْ . . حتى اختزلت أبعاد الأشياء
صنعةُ إبداعٍ يعجز عنها الفنّانْ

* * *

. . ورأيت ، كما يبدو للنائم
حين تدور به ساقيةُ الأحلام ،
« وكأنى أجبل ما يوشك أن يفلت
من فضل إهابهْ
وجذبتُ لحاء العظم البللورى
فارتدّ جديدا . . .
ومضيت بفرحةِ طفلٍ يصحب دميهْ

تتفجر زهواً . . وفتوّه
كانت تترقرق من حولى
خطوات الفرَس الأسطورى
مثل الأنسام الفجريهْ
تتضوع زهرا . . وبَهارا
ويدق سنابكه الذهبية
ديناراً يَصْفِقُ دينارا
واجتزتُ دروباً ممتدهْ
لا أعرفها . .
صافحتُ وجوهاً طيفيهْ
دنيا أحلامٍ كالأحلامِ خرافيهْ
– حين فقدنا الأحلام . . هدمنا الكون المسحور
ضيعنا الله . . تخلى عنا
صرنا أشباحاً فى وديان الموتْ
أصداء عذاب تسفعها جدران الصمت

٢

أمواج الرحلة تقذفنا فى قريهْ
وتمر بنا طفلهْ
مدت كالبرق يديها . . وانفلتت
تعدو بالمُهْر الأسطورى . !
والتفّتْ أشواكُ الدهشة من حولى .
دغلا . .
أسمع طفلا يلغط :
— ليست من قريتنا
هذى الغجرية .

* * *

وتغيم الرؤيا . . .
الخوف يموج بأصوات الغاباتْ
وأنا أتعثر فى الطرقات . . .

أتذكر أن حصانى يرجع
إن قلت : حصانى . . .
يُفتَح باب فى القرية
وتضىء كهوفَ الليل
رناتُ سيوف ناريه
تصطك بجمجمة الخيل
– هذا « ريتشارد الثالث » يصرخ فى البريه :
« مملكتى من أجل جواد »
– مات جوادك يا ريتشارد ! . .

* * *

وجَرَتْ أزمانٌ كالأحلام
على دوامة أحلامى
لكنى أذكر أن حصانى
حين صرخت . . يعود
. . عاد الشيطان المسحور !

٣

أخجل من نفسى حين صحوتْ
– مجنون أنت . .
هذا حلم لا يتجسد إلا للأطفالْ
أنت كبرت . .
– ألهذا انشقّت خيماتُ الليل السحريه ؟
ولهذا شاب العالم فى أعيننا
ضيعنا مفتاح الجنه
– لا تبحثْ عن رمز فى هذا العصر
فالأحلام فراديس البشريه
وهنالك فى أعماق البحر . . العاجيه
مازال القمر الفضى يظلل بستانَ الفجر . . !
– هل تنسى مأساة العصر؟
الجوع . . الحرب . . وغاشية الهول الذرّى

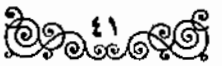

– إنى أعرفُ حزن الأطفال
إلياذة هذا العصر الممجى
حزنُ الأطفال هو الهول . . !
انسربتْ أحلامُ الماضى
حين انكسرتْ نافذة الليل
– لكنّ حصانا كالقط . . خرافةُ فِكر
تزرى بالفكر . . .
– ليست إلا مأساة العقل
فليغفر لى كهّان « زُيوس »
لم أنشد هذا الشعر لكمْ
هذا
شعرٌ
للأطفال

١٩٧٣

أغنية للصيف

وا أسفا . .
لم يبق من المرأة فى أعيننا إلا الرغبهْ
لم يبق من الحب الساحر إلا موسيقى الكلمهْ
عبرتْ « فِينوسُ » أبهاء الدير
وغطّى الفجر مفاتنَ نجمته الماسيهْ
وتناثر عقد « النسرين » . . على أردية الظُلمه
جمدَتْ أشعار الحب فما عادت
تهدى العشاق إلى الغابات السحريهْ . . !

* * *

وا أسفاً للأيام العذريهْ
وحنين الحبْ ،
ورفيف اللؤلؤ يُدمى من رقته حبّات القلب . . !

فى حلم نهار صيفى
سالَتْ أنغام الماضى
فى صوت امرأة يترقرق شعرا
وارتسمت فى الألوان الطيفية
كلماتٌ تشبه كلماتى
أيامَ حنينى الطفلىّ وحزنى
أيام مجاعة أشواقى
لم أبصر غير يديها الناعمتين
ورنين الموسيقى
يوقظ أجراس شبابى الفضيّه . . !

* * *

– أنا أذكر ساقيةَ الزهر الأبيض
بيديها الناعمتين . .
وصَيفاً يضحك للزنبق . .
فى إحدى المدن الريفيه . . !

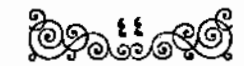

– ياساقية الزهر الأبيض . . !
« يازنبقةً فى فجر حديقهْ
تسقى « الليلكَ » من صهباء النُور » :
قلبى عصفور يلهث . .
خلف زجاج الشرفة . .
فى إحدى المدن الريفيه . . !

* * *

– يازنبقة الفجر اقتربى من عينىَّ
الساهرتين
فأنا مازلت – برغم الأعوام –
أحن إلى المدن الريفيهْ

* * *

لكنّى أعرفُ أن الأيامَ زهورٌ
تتنفس لهب الحُب .

* * *

وأنا أعرف أن الفرح الجارف
يذوى . لكن الحزن يظل
صنوبرة خضراء . .
تسبح فى أشرعةِ الريح الشرقيه
فاخفق ياقلبى ، وتأرجْ
فى أنسام الأشجار الصيفيه . . !

١٩٧٥

بكائيات قديمة

١

ها نحن نعودْ . .
نُلقَى فى بوتقة الأحزانْ
ها نحن نعود إلى البستان . .
المسموم الأكمام
غصنين بلا ثمر ، نتأرجح فى صمت النسيان
يمسكنا حبلٌ من مَسدٍ
يتدلّى من سارية الإعدامْ
عدنا – يا قلبى – أوهاما
ينزفها شَفَقُ الأوهامْ

* * *

– ماتت كلماتك منذ سنين

وتجمد شلاّل الشعر
على دمك المطلولْ
وانكسر القلب على أرصفة المغتربين

* * *

لما غاصَ سِنان الخنجر
وتمزق شريان الروح
عدنا . . لا نملك أن نصرخ
. . الدمع تحجر ، صرنا أطيافا
والفزع القاتم ، أبحر فى الأحداقْ
ولبسنا إكليلَ الشوك . . وذقنا
طعم الأشواكْ
ولفظنا كلماتٍ باهتة اللونْ
وغرقنا فى وهج الماضى
نحن الباكين بلا أدمعْ
المتكئين على رمحٍ مكسور . . !

(القاهرة) ١٩٦٩

٢

فى عصر الهمجية
تقطعُ رأس الشاعر
تُمْسخُ صورتُه البشريه
يصبح تمثالا من حجر مصقول
فوق سجون الحريه . . !

* * *

أو يصبح رمساً فى مقبرة حجريهْ
تسفعها الريح الرمليه
يرتجف شعاع القمر الشاحب . .
حين يمر بأحجارهْ

* * *

ويعود الشاعر ذكرى
تتأوه فى كلمات قصيدهْ

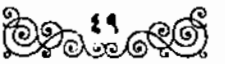

كلمات ذابلة مصدوره

ملحمة بين سطور كتابٍ

منطمس الصفحات

تحكى عن جثة بحر منكفئ

فى أعماق الفلواتْ . . !

. . فاصرخ ياقلبى . . وتفجّر

فى أشواق دموعك

أوقد نيرانك تحت جليد الحزنْ

رفرف فى تنور العاصفة الناريهْ

لا تذبل فى بستان الغربه

إن الفجر سيولد من أحشاء

الظلمات

فانفض أحزانك وتوهجْ

فالليل وَشيكٌ أن يمضى

لابد . . وأن يمضى

(القاهرة) ١٩٧٠

٣

فى أعماق الغابات

. . الموت الأخضر يركض
فى الغابات المذعورة
فى ليل العاصفة المجنونهْ
. . اللهب الذهبى . . سيوف البرق . .
. . دماء الأشجار تسيلْ
– جفت ورقه
– اهتز الغصن ، وأحنى قامته المشدوده
يرقص رعبا . .
يترنح فى أمواج العاصفة الرعديه
وانفجر المطر يسح . . ورنّ الرعد
– قافلة الأشجار الهرمة تعدو

لكنّ البحر تدفقَ يكتسح الأشجار
الهاربة من الريحْ

* * *

- أسمعُ كلَّ لغات العالم
في أجراس الريح الوحشية
أُولد . . أَفنى . . أُبعث في لحظة رعب
يركض قلبي مذبوحاً في لهب الغابات
السحرية
تَذْرونى الريح الشرقيه
وأعود . . جنينا . .
في أحضان الغابات الأفريقيهْ

(إيبادان) ١٩٧٢

عندما أيقظنى الشعر . !

أكان خيالا أعانقُه عندما زرتَنى ؟
وأسدلت فوق عيونى هواك . .
فأيقظتنى ! .

* * *

وأبصرتُ وجهَك طيفَ غرام
يغرد فى غربة لم تنمْ
بهمسٍ حنونْ . .
ويمسح عن رحلتى فى الدجى
غبار الظنونْ

* * *

أطيفك هذا الذى راعَنى
فجَمعتُ من صَبَواتِ الحدائق باقةَ زهرْ

وخصلة عطر
وبللتُها بدموع الغرام . !

* * *

ونَادَمَنى فى الكرَى ، فانتشيتْ
فمرغتُ وجهىَ فى شفتيه
وَقبّلتُ – مستضحكا – وجنتيه
وأغمضتُ عينى على نوره ،
فى ابتهاجٍ حزين ! .

* * *

ولكنما أنت أيقظتنى ، وحنينى القديم
وشوقاً تنوّرتُه فى المساء
وأغنيةً من هواى البعيد :
متى نعبر الليلَ فى خفقةٍ ، كالجناح الشريد
كعصفورتين وراءَ الرياح
إذا الفجرُ شقشق مدّا الجناح

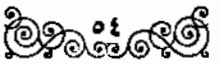

وطارا على قبلة للصباحْ . . !

* * *

أطْيفُكَ هذا الذى يرتمى على وِحْدتى
كَنخْلاتِ قريتنا الوادعهْ
تغطى الحقولَ بأحلامها فى ليالى القمرْ
وتحتضن الطيرَ حين يمر
بِجيدٍ تهدّل منه الثمرْ . !

* * *

وفى الليل حين يطولُ السهَرْ
على العاشقِينْ
وكنا صغاراً نحب السَمَرْ
فتورقُ من حولنا الكائنات
وتغرق أعيُنُنا فى النجوم . . !

* * *

فيا نجمةً لم أضمّ يدىّ على لمعة الماس من نورها

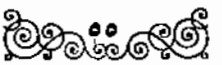

ويا قمراً جاز أفق سمائى
وغاب وأضواؤه فى دمى
ويا عمرَ طفل بلا أغنيات
ويا وردة نَثَرَتْها القُبلْ
ويا قصةً لم تكن فى كتابى سوى ذكريات
لأوجاعنا فى ليالى الشتاء

* * *

فيا موجةً فى بحار الضياء
متى يزحف البحر، كى نلتقى ؟ ! .

* * *

١٩٥٧

امرأة فى الليل

زَادُها.. فى شاطئ العمر.. شبابٌ وربيعٌ
نضرّ الله غصونهْ
أخـضر النسمة .. فتان رقيق .. ونضـير
مشق السحر جفونَه
ووشاح .. من ضياء .. وعبير
لم تمزقه رياحٌ..
لم تزل تلهث بالدفء ثمارُهْ
– بَعْد – لم يذبل جناه .. وفتونه .. !

* * *

زَادُها .. فى رحلة العيش ..شباب .. وصِبا
وهَبتهُ – للذى يرخص فيه .. الذهبا
للذى يحبس – إن شاء – النسيم ..

والذى يصنع للنـــــاس النعيم
وإذا ما مـــرَّ تخضر الربا . . . !

* * *

للذى يعصر روح الكرم فى كل مساء
للذى يملك – والناس نيام – كل شىء
للذى ينسج عـــــار الأشقياء
وعذاب الأبرياء ! !

* * *

ثم ماذا . ؟ !
– ومضت تنشب فى قلبى أســـاها
ذاتَ ليل . . قيـــدتْ روحى خُطاها
وأنا لست إلها
فأنا تحت المساء
مثل آلاف البشر
نزرع الليل غصونا . . وزهورا . . ونجوما . . فى المساء

نبذر الليـــــل رجاء .. ونغنى للمطر .. !

* * *

عَبَرتْ بى كالنسيْمات الرطيبهْ
وهى أنثى . .
حلوة العينين كالزهر نديهْ . .
وحييهْ . .
وحبيبهْ . .
روحها مبهمة الشوق طروبهْ
وهى كالليل غريبه
وكئيبهْ . .
وهى فى الليل شقيهْ
وضحيهْ . .
نسجت أيامها أيدٍ خفيهْ
لاتراها .
ويدى تمسح بالحب أساها

ودماها . .
فى ثيابى . . فى ثياب البشريهْ
وأنا تحت المساء
مثل آلاف البشر
نزرع الليل عيونا محدقات كالقدر :
بالذى يصنع للناس الشقاء
والذى يخنق روح الأبرياء . . !

١٩٥٦/٥/٣٠

صرخة إنسان

الليلةَ عزّ على قلبى أن ينسج حلماً ذهبيا
أن يعصر من دمه خمرا . .
أن ينشر فى الليل شراعا ،
ويمد على الظلمة فجرا

* * *

الليلة عانَقْتُ الوحشةَ ، فابتلّ الحزنُ بأهدابى
وعلى بابى :
أعشاب الظلمة والأشجار الداكنة الظلِّ
والليل رماد ، وبحلق ذرات من وهج الليلِ
والريح تبعثر أفراحى
وتشد – إذا طرتُ – جناحى . !

* * *

الليلة قد صرخت روحى ، روح الإنسانْ
وعلى الصحراء الخادعة الأمواج اضطربَتْ قدمانْ
وارتعدتْ فى الريح يَدان
والليل دخان
ينزف أوجاع البشريهْ
فكأن الريح الدمويهْ
فارت . . وكأن الطوفانْ
قد عاد ليغمر ما شادتْ أيدى الإنسانْ . !

* * *

أنا أعلم أن النار تهب لتلفح فى الليل شعوبا
وقبوراً تشهق بالموتى
ووحوشا تزأر ، ونيوبا
ومُدَىً تنساب إلى الأضلاع تشق حناجر وقلوبا
وشعوباً تعبر قمم النار ، وقد حملت للموت صليبا

* * *

أنا أبصر فى الليل شفاها
مطبقة ترجف . . ونحيبا . .
وعيونا تصرخ وعـــذابا
مرتعش الأوتار . . رهيبا
ورياحا تركض . . ولهيبا
وحبيبا يمضى فى الفجر المخنوق كئيبا
لم يمـــلأْ عينيه حنانا
لم تلثمْ شفتاه حبيبا ! .

* * *

وغريبا يجتاز بحارا
للموت . . ويعبر أنهارا
ويدوس مدائن ، وصحارى
كى يقتل فى الحرب غريبا ؛
وليقطف زهرا مخضوبا
ودموعا تغسل أقدامَهْ

ويمر خريف مكتئبٌ
يجتاح الروض ، وأحلامه

* * *

ويجف النهر . . ومجراهُ
ويغطى الشوكُ ضحاياه ،
ولأنَّا نحن ضحاياه
ولأنّ خرير الأنهار الخافتة الصوتِ
مازال يوسوس فى الصمتِ
فتبغّضُ خضرة شطيه
فى أعيننا لون الموتِ ،

* * *

ولأن حقولا ناضرة الأزهار زكيهْ
وحدائقَ ضاحكة الألوان شذيهْ
وقلوبا مازال هواها الأخضر مشبوبا
وعواطف مبهمة الأشواق طريهْ

مازالت تحلم فى الظلمات برعشة فجر الحريهْ :

* * *

ياريح الصحراء الجهمهْ
ياريح القفر المسمومهْ
ياهب النار المحمومة
يا ظلا أسود مرتعشاً
يزحف كالليل ليطوينا
لن نلثم ظلّك جاثينا
لن تغمر نارك أيدينا
لن نمشى خلف أحبّانا
فى غبش الظلمة باكينا

* * *

ياريح الطغيان المظلم
لن تذرو الريح بقايانا

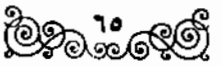

لن تحصد زهر الأودية الخضراء
لتجللّ بالحـــزن قُرانا
فلقد جففنا أدمعنا
واعتنق الفجر ضحايانا
ولسوف تمر فتلقانا
أشواق بحار هادرة
تطغى لترد النيرانا
ياقلباً صخرياً يزفر
ليصير العالم بركانا
لن نحمل خلفك صلبانا
لن تقتل فينا الإنسانا . !

١٩٥٩

عندما نُحِبْ

نُحِبّ فتخضر فى روحنا حقولُ السنين
وتزهر بالفل . . والياسمين
وتمسح كفُّ الربيع الحنون :
غُصونَ الشجر . . !
فتهفو الغصون ،
ويضحك فى ناظرينا القمر . . !

* * *

نحب . . فأيامنا الماضيات
تعانق أفراحنا القادمهْ :
لتحيا بأعماقنا مرتين ،
لأن المحبة نهر سعيد
تقوم على شاطئيه الحياة

تغنى بأفراحه فى الضحى
وتشرب من خمره فى المساء

* * *

لأن المحبة نهر سعيد ،
غرقت به فعشقت الوجود . . !

* * *

وقد كنت بالأمس طيراً سجينا . . غريب الجروح
أسير على الشوك . . والشوك نار ، يخضّبها دم قلبى الذبيح .
أخوّض فى صرخات الضحايا
وفى مقلتىّ عذاب المسيح . . !

* * *

وكنت . . ورف هواها الحبيب
فأبصرت فى نوره جنتى :
ورودا تنفس فيها النهار . .

وزهرة فل . .
وسوسانة من دمائى تطل . .

* * *

وحقل من السنبل الذهبى . .
ووجه حبى . .
ولحن بعيد . . عميق القرار . .
وراء البحار . .
يشد خطاى . .
وخفقة نای . .
وشوق عميق أحس به دافقاً فى انبهار :
يعانق روح الوجود الكبير
فيشعل فى الليل عطر الزهور . .
ولغو الطيور . . !

* * *

يسيل بأمواجه فى الحياه

فَيُجرِى المياه . .
وكل الذى كان . . أو لم يكن . .
وكل الذى فى غدٍ سيكون
كأنى أراه :
حنيناً يُنوِّر فوق الشفاه . . !

* * *

وقلت لها : والصباحُ الندىَّ
يرطّب أحلامَنا الجائعه . .
– وعبر المدى الأزرق المنتشى
يرف أسى روحىَ الضارعه :
– ستنبت فوق الجبال البعيدة أزهار أيامنا اليانعه
ستمضى بنا فوق هذى التلال
رياح المحبة عريانة :
لأن المحبة كالنور عريانةً لاتراها العيون . . !

* * *

وقلت لها :

« سأحبك محبة الحقول للربيع

وسأحيا بكِ حياة الأزاهر بحرارة الشمس »[١]

– محبة هذى الحقول الخصيبة للنور ، والزهر ، والساقيه

وأحيا بأضوائك الدافئات :

حياة الزهور بأنسامها . .

حياة الطيور بأنغامها . .

حياة الليالى بأيامها . .

حياة الألوهية الباقيهْ

بسر الحياة . . !

* * *

وقلت : . .

فأيقظنى صوته فى هدير الرعود

يمزق قلبين لم ينهلا من رحيق الحياه

---

(١) جبران : الأجنحة المتكسرة .

سوى قطرتين . . !
وصبّ علينا سياط العذاب
وثارت عواصفه المحرقه
لتجتث أشجارَنا فى الدجى
وتطفئ أزهارنا فى التراب .

* * *

وأبصرتُ فى قطرات الدموع
خطى تتهادى وراء الدموع
وآدمُ فوق طريق الخريف يسير
بظل كسير . . !
خطاه مبعثرة خائفهْ
كارتجاف الورقْ
مبللة بالأسى والعرقْ

* * *

ولكن آدمَ ظل يسير

على النار . . والشوك . . والعاصفهْ
ليحرق كل الجذور الشقيهْ
ويغرس أغصانه الوارفهْ
ويبذر أيامه فى الربيع
ويخلق جنته من جديد

* * *

فماذا تريد
ستأخذ منه الذى يشتهى
وتلهبه بسياط الألم
ستعصر أيامه فى يديك
ولكنه وهو يمضى إليك
يظل يسير :
بعينين تعتنقان السحاب
وقلب يحب شقاء التراب . ، !

* * *

يحب فتخضرُّ فى روحه حقول السنين
ويشقى فيدفن أوجاعه
فى ظلال السكون . . !

١٩٥٦/٧/٦

العودة . . . !

عذبنى الشـــــوقُ إلى جنتى
بعد الذى قاسيت فى غربتى
فعدت وثّاب المنى . . ناشراً
أجنحتى البيضـــاء فى الظلمةِ
أجنحـــة الحب التى لونت
آفـاق الزرقـــاء بالفرحة

* * *

ثم تراءت جنـــة الملتقى
ترش نور الفجر فى واحتى
فاستقبلتنى ذكرياتى التى
زرعتها بالأمس . . فى قريتى

عدتُ . . ولكن الذى لم يعد
عمرى الذى ذاب على مهجتى . . !

* * *

عدتُ إليها واللظى فى دمى
دوامة يزأر فيها اللهيبْ
لظى ضياعى . . فى زحام الورى
وحيرتى بين ضحايا الخطوبْ
عدت وفى جفنىّ – مما أرى من دمى المسفوك –
حلم خضيبْ . . .

* * *

فعانقتنى قريتى مثلما يعانق العاشق خطو الحبيبْ
وأذرعُ النخـل – وراء الربا –
أجنحة تسبح تحت الغروب
أَوْمَتْ . . وحيّتْ . . فى جلال
سرى حنينه الدافق عبر الدروب

وصافحت روحى بأنسامها
وأغرقتنى فى شذاها الرطيبْ . . !

* * *

استقبلتنى قريتى النائمهْ
تحت سفوح الجبل الصاعدِ
تثاءبت فى حضنه وارتمت
تائهة فى حلمه الخالدِ
والترعة السمراء طافت بها
ترضعها من صدرها الناهدِ
والنخل أطفال . . على شطها
يعبثن فى مزمارها الشاردِ
نادت . . فسال الفجر فى أضلعى
منعتقا من شوقىَ العائدِ . . !

* * *

واغترفت عيناى تبر الحقولْ . .
واشتعلت روحى وراء الأصيلْ
وغمغمت حولى الروابى التى
أودعتها – بالأمس – حلمى الجميل . . !

* * *

والسيسبان الوالهُ الممتقعْ
من ظمأ الحب وشوق الذبولْ
يعابث الكافور فـــوق الترع
ويتثنىّ فى ظلال النخيلْ . .

* * *

وموكب « الزرزور » فى عرسهِ
مصفق يلغط فـــوق الغلالْ
والسنبل التائه فى قدسه
مرنح الأعناق . . حلو الدلالْ

وجوقة الغربان محمورة
بلحنها الغارق خلف التلالْ

* * *

ونخلتى السمراء فى صمتها
مبهورة الأنفاس بين السهولْ
تصغى وراء الأفق عبر المدى
لعاشق روىّ أساها الطويل
مرّ بها- تحت جناح القمرْ-
ذات مساء شاعرى جميلْ
فذاب فى الليل صدى لحنهِ
« بنات خوفو شاعرات الحقولْ » . .
غنى هواه تحت أقدامها
وأفرغ النشوة فى جامها
فنوّر الليل بأنسامها
وفضّضَ الفجر بأحلامها

ثم مضى فى خطوه الساحرِ
يطوى ارتعاش النّهرِ الزاخرِ
لكنما ظلت رؤى حلمه
تهز فيها . . فرحة الشاعرِ
ولحنه الضائع فى روحها
يهـــــزج فى تحنانها الغامر

مضى وخـــــلاّها على دربها
عاشقة تســـــأل عن ذنبها
وتوقظ النائم . . من حبها
فيثمـــــر التحنان من قلبها

هذا الجنى الحلو . . بلون الشفاه
يمتص فى الليل حنين المياه . . !
يانخلتى السمراء . . ياجنتى
يا عرس أفراحى . . وفجرى البعيدْ

كم عانقت نجواك . . أشواقنا
ونحن فى عمر الصباح الوليدْ
على ذراعيـــــك أناشـــيدنا
ترقص فى صمت الروابى السعيدْ
وفى الظلال الخضر كانت لنا
أرجوحة يمرح فيها الوجودْ . .

* * *

هل تذكرين الصبية الضاحكينْ
يؤرقون الجدول النائما ؟
ويقنصون الطير من عشه . .
فى فرحة تستغرق العالَمَا
ويرشقون الغيم فى سيره
حصى . . يرش الأفق الغـائما
ويعبرون الليل فى قصة
خضراء . . يطفو فوقها عائما ؟

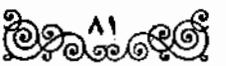

يا جنتى أين رفاق الصبـــــا
نعدو كما كنا . . وراء القمرْ
ونحصـــــد الليل بأحلامنا
ونزرع الأوهام فى المنحدرْ

* * *

أين مضوا . . . ؟ فى أى درب ترى
تـفـرقوا . . . وانـفض عـقـد السـمـر ؟
هل أجهدت أرواحهم مثلنا
عواصف تعوى . . وريح تمر
تدفعهم للحقل فى قسوة
ليبذروا آمالهم للقـــدر

. . . . . .

١٩٥٤

حديث إلى القمر . . !

يضرّجُ نورُك وجهَ المساء
. . بـلـون الـغصـونْ
ويسكب فى حـــدقات الزنابق
. . ســـــحر الفتونْ
وتسرى . . فيشرب من ضوئك الحالمون
وينعس فى ظلك المتعبون
. . ويطفو الشذا فى أعالى الشجر
. . ليبحر تحت شِراع الضياء . . !

* * *

– فيا قمر العاشقين ، ماذا أقول
أنا عاشق النور منذ الأزلْ

رشفتُ ضياءك وهو يرفرف
في خصلات النخيل
ويلهث بين رذاذ الحقول

* * *

وكم مرة في ارتعاش المساء
أبصرت وجهك . . تحت السماء ،
يدور . . ويغرق بين الغيوم الندية
وأنت تطل ، ببسمتك اللؤلؤية
فتنضج غض الثمار . . !

وفي رحلة الليل عبر القطار
وأنت ترافق أوهام قلب
تطاير في رعشات الخريف
فتغمر روحي بحزن شفيف
كحزن المحبين في ساعةِ الانتظار

..ولكنْ ، لماذا وأنت حنونْ
ووجهك زنبقة للعيون
لماذا يعذب روحى بهاك
وأغرق فى الحزن حين أراك ؟

* * *

صديقين كنا ، فهل أنت مثلى
مازلت تذكر أمسى البعيد
وقد كنتُ طفلا غزير الدموع
يود بأن تحتويك يداه
فلا يستطيعْ

* * *

وذات مساء . .
-أجل أنا أذكرُ هذا المساء-
تبدّيتَ فى هالةٍ من شحوب
ووجهك مختنقٍ بالبكاء

وقالوا، بأنك سوف تذوب
وقد خرجتْ قريتى فى ذهول
تركض فوق رنين الطبول
لتنضح عن وجنتيك الذبول.. !
وحين تبسمتَ ذاب النضار
ومد الفـــــرحْ . .
جناحين يعتنقان النخيل
ورشرش عـــــبر الجداول
نورك ، ملتمعاً فى الحقول

عينان . . !

عيناك نهرُ فضةٍ
شطآنه زَهَـــرْ

وجزر من عنبر
ينعس حولها القمرْ

عيناك يا حبيبتى
نجمان . . يضحكانْ
لقلبى المصفود
فى سلاسل الزمانْ

لقلبى المشدود فى مراوح الهجيرْ
يضرب فى صحرائه
مُضَيَّع المصير

منقباً فى ليلهـــا
عن حبه الكبـير
عيناك فيها الدلال ، والحنان ،
والهوى
وطيف فجر ضاحك
على صباحه انطوى
يشرب حلم ليـــلة
طيـوفُـها تَمُـــرّ
مشتاقة إلى البحار
والنخيـــل والشجر
بحـــيرة . . عميقة
قلبى بهـــا غريق
يهتف بى ، فأنثنى
محـــيّر الطـــريق . . !

(١٩٥٥)

السندباد العربى *

١

. . . . وعاد سندباد
فى قصة لم يروها كتاب « شهرزاد »
فلم يكن أسطورة يصبغها الخيال
لكنه حقيقة تحفظها الأجيال ، للأجيال
أبدع من خيال « شهرزاد » .. فى حديثها المثيرْ
السندباد — ها هنا — فى قصتى : أمير
تشتاقه العيون . .

---

* (أسامة بن منقذ) الفارس الشاعر . سليل الأمراء من بنى منقذ أصحاب قلعة «شيزر» الذى امتشق سيفه محارباً فى جميع أرجاء الوطن العربى .

وشاعر يستلب النُّهى برائع البيانْ
وفارس يبسم للطعان
تفرَقُ من لقائه الشجعان
لأنه يهزأ بالمنون .
وفى الوغى ترتجُّ من صيحته القلاع والحصون
فكيف أبدأ الحديث عنه . . وهو ذو شجون ؟ !

٢

أعن مجد آبائه حيث سوَّتْ يدُ الله فوق الربى « شيزرا »
فقامت تطاول مجد النجوم بتاريخها .. وهى فوق الثرى
تراها ، وقد عانقتها الهضابُ
ونامت على كتفيها القرى
ومدت جناحين عبر السهول
وغطّت بأسوارها الأعصرا !

* * *

مشت بامرئ القيس فى ظلها مقاديره . . يبتغى قيصرا
رأى الدربَ صاحبُه دونه فلجَّ به الشوق . . واستعبرا[1]

فقال – وقد أوغلا فى المسير – وحيـــــدين
– أو أمعنا فى السرى :
بكى صاحبى . . .
. . وانطوت قصة . . جَرى الأمر فيها بما قُدِّرا !

* * *

أعَنْ مجد آبائه . . فى « حَمَاه »
أسوق الحديث الذى قد جرى
وأنفض عنهم غبار السنين
وأبعثهم من لذيذ الكرى

---

(١) إشارة إلى أبيات امرئ القيس المشهورة :
نقطع أسباب اللبانات والهوى عشية جاوزنا حماة وشيزرا
بكى صاحبى لما رأى الدرب دونه . . الأبيات

وأهتفُ هيّا بنى منقذٍ :
صفّوا الكتائب حتى أرى
وأسمع فى قعقعات السلاح
صدى الزحف يخدش سمعَ الورى
وأصغى إلى حمحمات الخيول
تعبر فى جـــريها الأنهرا
وتصهل . . وهى تجوب السهول
فيبقى الصدى عالقاً بالذرى

* * *

أقول لهم : يا حماة الديار
هيّا فأنتم ليوث الشرى
هلموا – بنى منقذٍ – للقتال ؛
ففجر المعارك قد أسفرا . . !

* * *

٣

وتطفو على خاطرى الذكريات ، فتحمل روحى وراء الحِقَبْ
فأطوى العصور التى قد مضت .. ومازال تاريخها الملتهب ،
مشاعلَ مقبلةً من بعيد تمر .. على الأفق مر السحب

* * *

فأغمضت عينىّ – فى نشوة – على حُلمُ رائع يضطرب
يَبِينُ . . ويطفو ، كخفق الحنين يحمله العائد المغترب

* * *

رأيت الفيالق وهى تموج .. وتمضى إلى الموعد المرتقب
ترد عنِ الشرق ريح السموم .. ريح الفرنجة .. وهى تهب ،
عواصفَ مثقلة بالدمار .. وبالموت .. نضّاخة باللهبْ

* * *

ويزأر فى الأفق صوت النفير
فأعلم أن القتال نشبْ

فأهتف : يافارسى . . ! فيضىء
وراء المدى رمحُه المشرئبْ
يشق الدجى ، فيسيل الصباح عليه . .
ويصـــــدع عنه الحجبْ . .

فهذا أسامةُ . . تحت العجاج . . مشتعلا بلهيب الغضب على ضامر – كزئير – الرياح لا من عناء ولا من سغَبْ ؛ أشقر يسبح فوق الهجير ملتمعاً كشعاع الذهب

* * *

وهذا « ابن أرتق » حفتْ به كتائبه . . تتحدى النُّوبْ[1]
وهذى الخيول . . وفرسانها . . تنقضُّ خاطفةً كالشهبْ
أعرفها . .
فالوجوه الغضاب على الروع – كانت – وجوه العربْ . . !

* * *

(١) نجم الدين إيلغازى بن أرتق صاحب حلب .

.. وخاض الفرجة حقل الدماء [١] .

وقد كان بالأمس حقل اللهب
فما غرسوا فيه إلا البوار ،
وما حصدوا منه غير العطب
لقد أشعلوا فيه نار الوغى
فكانوا له ، حين شبَّ ، الحطبْ . !

* * *

وتمضى المعارك ، مشبوبةً .. إذا جاء جيش ، يقال : ذهبْ
وسيقَ ملوكهمو الأكرمون ، إلى قلعة ، عزّ منها الهرب

* * *

(١) أطلق الفرنج « حقل الدم » على الميدان الذى جرت فيه معركة البلاط بين روجر صاحب أنطاكية وبين المسلمين فى (عام ٥١٣ هـ ١١١٩ م) والتى سقط فيها روجر صريعاً هو ومن معه من فرسانه ولم ينج منهم سوى ١٤٠ فارساً .

إذا أرهقتهم قيودُ «سروج»
تُبَدّلُ أغلالهم فى : حلب[1]

* * *

أأمضى وراء خطى الذكريات أثير الشجى ، أو أثير الطرب ؟
وكيف ، ولم أرو عن سندباد
إلا حـــديثاً وعتهُ ، الكتب
فأى مفاتنها : أجتلى . . وأى أعاجيبها : أنتخب

* * *

٤

أأذكر رحلاته فى القفار ، يغذ إلى الضاريات المسيرْ

(١) استطاع «نور الدولة بلك» ابن أخى «إيلغازى» أن يقبض على «جوسلين» وعلى ستين من فرسانه عند «سروج» فى (عام ٥١٦ هـ - ١١٢٢ م) وأودعهم فى قلعة «خرتبرت» ولما هم «بلدوين الثانى» بتخليصهم من الأسر ، أسره نور الدولة أيضاً وأودعه مع زملائه فى (٥١٧ هـ) ، وقد نقلهم بعد ذلك إلى حران ثم إلى حلب .

يفتش عن أسد فاتك ، ليخنق فى رئتيه الزئير وصاحبُه – فى الوغى – صارم ، إذا شاء غلغله فى الصخور وأشقر ، تعرفه الظلمات ، ويعرفه – فى الصحارى – الهجير

* * *

أأذكره فارساً لا يمل صراع الخطوب . . وطعن النحور فيوماً . . «بتكريت [1]» مستقبلا شواظ الوغى ، كالصباح المطير ويوماً «بشيزر» يسقى الفرنجة ، من رمحه السمهرى المرير : كؤوساً يغص بها الشاربون ، وتبقى مرارتها فى القبور

* * *

أأذْكُرُهُ شاعراً يترنم – مضطجعاً –

فى مهـــــاد الحـــــرير

نثار الرياحين . . بين يديه

يسطع فوق دخان البخور

---

(١) حارب أسامة مع عماد الدين زنكى فى المعارك التى دارت بينه وبين قراجا الساقى صاحب فارس فى تكريت عام ٥٢٦ هـ .

تُبَثُّ الوســـائد فى رقةٍ
على عرشه ، وتضاء القصور

* * *

يطول الحديث إذا مامضيت ، أنضو عن الذكريات الستور
لأروى عن الفارس العربىّ ما خبأته ليالى العصور
ولكنّ حسبى أنى جلوت من الغيم وجه السماء المنير
لأهدى إلى أمتى قصة البطولة : فى السندباد الأمير

مايو ١٩٥٩

لن يمر الأعداء . . !

أقسمتُ بالشهداء لن يتقدموا فى أرضنا
لن يعبروها فوقنا
لن يعبروا الأرض التى اصطبغت بنور دمائنا
واخضوضرتْ أشجارها بدموعنا ! .

* * *

أقسمت بالنيل المقدّس لن يمروا من هنا
ليدنسوا تاريخنا . .
ويخضبوا أيامنا . .

* * *

أقسمتُ يا مصر المجيدة . . بالكفاح . . وبالضنى
بتراب وادينا الذى بذرته أذرع شعبنا :
شجراً . . وأفراحاً تصفّق حولنا

أقسمتُ بالفجر الذى بعثته مصر مؤذنا :
لطلائع الأحرار تستبق السنى
لكتائب الفولاذ تخطف بالضياء الأعينا

* * *

أقسمتُ لن يرد الغزاة مياهنا
لن يستبيح الغاصبون حقولنا
لن يقتلوا أطفالنا . .
لن يقهروا الشعب الأبىّ المؤمنا . . !

* * *

فلقد غرسنا فى الحقول سلاحنا
شجراً مرير الطعم مسموم الجنى
لعداتنا . .
للطامعين بأرضنا . .
لمخالب الوحش الكئيب مزمجراً فى دورنا ! . .

* * *

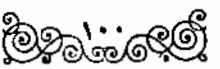

سنذود عن أوطاننا . .
بنضالنا . . ودمائنا . .
سنرد ريح الموت عن أزهارنا
ونصون أفراح الطفولة من أعاصير الفنا . . !

* * *

إنا ركزنا للعدو سلاحنا
وعلى روابينا الخضيبة أينعت أعلامنا
وتدفقت أمواجنا :
تجتاز أسوار الدجى القانى لتحمى الموطنا . . !

* * *

أقسمت بالشهداء لن يتقدموا فى أرضنا
فلسوف تبقى أرضنا
خضراء ضاحكة يذهبها السنى
ونسيمها الفجرى ، يعتنق الغصون مدندنا
وغداً يسيل الفجر فى طرقاتنا

لتغرد الأطيار فى أشجارنا
ليطرز النوّار ثوب حقولنا
ليزقزق الأطفال عبر دروبنا

* * *

وغداً يجيء ابنى ، ويهتف : ها هنا
رد الغزاة أبى . . وصان الموطنا

نوفمبر ١٩٥٦

عودة الشهداء

اليوم يرتفع الستار عن النهايهْ
وعن البدايهْ . . !
عن قصة الخزى الذى رسمته أيدى الخائنين
وصنائع المستعمرين
فى أرضنا . .
فى أرضنا اللهبيّة الحمراء ، من وهج الدماء
يغنى على شطآنها المستشهدون ،
يحدقون إلى النهار . . !

* * *

فى أرضنا الزهرية الخضراء ، تعتنق الغصون المستحمة بالضياء
وينقرّ « الزرزور » أجفان الثمار . !

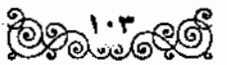

اليوم يرتفع الستار عن النهايهْ
عن ساحة « التل الكبير » ، ودنشواى
وطلائع المستشهدين على القنال
الراقدين على المياه ، يحدقون إلى البعيد
وبوارج الأعداء ، تلمع فى الأفق . .
والعائدين من المنافى . . . من بعيد
من غيمة حمراء . . بَرْعَمها الشفقْ
من غربة خرساء . . تشرق فى العيون :
لآلئاً بيضاء جمّعها الحنين من البحار . . !

* * *

من غربة مبلولة بندى الحنين
لتعانق المستشهدين . .
والعائدين . .
والميّتين بلا قتال . . !
والغارقين مع المياه الجاريات إلى البحار

يتبادلون الانتظار . .
ويحلمون بالانتصار . .
فاليوم يرتفع الستار
وغداً يجيء الانتصار . .

* * *

وحملت تاريخى البعيد .
سبعين عاماً فى خطاى . . صبيغة بالأرجوانْ
سبعين عاماً فى دماى . . عميقة بالانتظار

وعلى القتال . . ودنشواى ،
وقفتُ أنفضُ عن خطاى لظى القيودْ
ومضيت تصهُرنى خطاى ،
فى حومة الإصرار . . فى وَهج النشيد
عانقتُ أجيالاً تطوف بدنشواى
وملأت عينى من بهاء الزاحفين

إلى القنال . .
والقادمين من البعيد . .
والراكضين على الخيول . .
إلى القتال . .
والعائدين من الحقول . .
والهابطين من التلال . . !

* * *

ورأيت « زهران » الوديع . . يهز أعطاف الطريق
خطواته الخضراء ، تضحك للربيع . . !
ورأيت فى عينيه أشواق الذى وهب الحياه
فعرفت أن الشعب حىٌّ لا يموت . . !

* * *

قد عاد « زهران » الوديع إلى الحياة
ومضى حبيب الخطو . . ضحّاك العيون
يهز أعطاف الطريق ،

فتطل أعناق النخيل على الطريق . .
ويُذَهّبُ « النوّار » أثواب الحقول . .
ويُنقِّر « الزرزور » أجفان الثمار . .
فاليوم .. يوم الانتصار
واليوم يرتفع الستار . . !
اليوم ينتصف الحفاة الكادحونْ
واليوم ينتصر العراة الجائعون

° ° °

اليوم يرتفع الستار عن البدايهْ
عن يقظة الشعب العريق
عن عودة الروح الطليق
« زهران » عاد إلى الحياة
ليقود أيام الحفاة الكادحين
إلى الضياء . . !

١٨ يونيو ١٩٥٦

من كتاب الحرية . . !

أنا لا أنسجُ الأساطير للشعب
لينْسى فى وهمها المسحورِ ،
مجدَ أيامه المضيئة بالمجد
ولا أبعثُ البِلى فى القبورِ
أنا لا أنسج الخيال لشعبٍ
ضَمَّ فى قلبه كنوز العصورِ
إنَّ فى أمسِهِ القريب بطولات
ســـــأروى أحداثَها للدهورِ
فكأنِّى أُحِس دمدمة الماضى
وصوت الأجيال تحت الصخور
تَحْطِمُ القيدَ فى جنون وتمضى
عاصفاتٍ على اللظَى المسجورِ

١

الشعب يقاتل الإنجليز

. . أنْفُسٌ حرةٌ تصفّق للموت ، وتمشى على اللظى المجتاحِ
وقلوب تدفّ فى موكب النصر — ، وتحنو على الدم النضاحِ

حَطَّمتْ هيكل الظلام وطارت
مطلقـــات جناحها للصباحِ
حطَّمَتْ قيدها العتىَّ وَهَبّتْ
تنشرُ الهول فى الربا ، والبطاح
فإذا البحر مارجٌ من دمـاء
ظامئات إلى اللقاء المتاح
وكأنّ السحاب شبّ حريقاً
يتهاوى على عزيفِ الرياح

إنها قصة الكفاح لشعبٍ
باركتْهُ السماءُ يوم الكفاح
عاصفٌ جُنَّ فارتمى فى شعاب الردى الرهيبْ
ومضى ينســـــج اللظى
وانثنى يغـــــزل اللهيبْ

٢

من أجل مصر

وقف الدهر ضارعاً لأسَى طفلٍ شهيدٍ[١]
مـــــــافّع بنقـــــــائهْ
بلبلٌ صافَحَ اللهيبَ بقلبٍ
شاعرى مغلّف بغنائهْ
فى اللظى المُشرئب عانقهُ الصبحُ ،
فذابت أشواقه فى ضيائه

---

(١) الطفل نبيل منصور

هجر الروضَ والعصافير ، والنهر
وحلما يرفّ فى أحنائه
ومضى والنهارُ وَهْمٌ بعينيه
كطيف الغروب عند انطفائه
ظامىء القلب للمنى
لأغاريده وعرسهْ
حنّ للزهر والربا
فسقاه الردى بكأسهْ
أطلق الموتُ أَسْرَهُ
فغدا ليلهُ كأمسهْ

* * *

لستَ طفلا ، فأنتَ طيفٌ جميل
عَبَر الأفق عازفاً أنغامهْ
لستَ طفلا فأنت روحُ نبىٍّ
غادر الأرضَ ، حاملا آلامه

صفقت روحُه الطروبةُ للموت
وضجتْ أفراحُه المستهامهْ
وبعينيه للصباح حنين
كرفيف الأزاهـــر البسّامه
وربيع الخلود فى قلبه الضاحك
روضٌ . . وجـــدولٌ وغَمامهْ
فى ظلال الغصون نامتْ لياليه
وغطت أوراقُها أيـــــامَهْ
صافح الشاطئَ الحبيب ، وأغفى
وعلى ثغره خيالُ ابتسامَهْ
وغداً . . قصةُ الدموع ، ستروى
للإلهِ العظيم ، يومَ القيامهْ

* * *

٣

البعث

ومضى الليـــــلُ طاوياً
شاطئ الدمع والنواحْ
ويَـــــدٌ تحجب الردى
ويـــــد تغسل الجـراحْ

* * *

.. ودنا الفجرُ فاحتمى
شبحُ الليـــــل بالغصونْ
وسرتْ نفحـــــة الربى
تنشر العطر فى السكونْ

* * *

تغمر النهر والخمائل سحْراً
يتراءى على المروج القشيبهْ

بعد أن ذابت النفوس حنيناً
واستبدتْ بها الظنونْ المريبهْ
أيها الحائر المحوّم صفقْ
بجناحيك للدماء السكيبه
حان يوم الخلاص ، فابسط ذراعيك
للأفْقِ ، للسماء الرحيبه
إنّ هذى الدماء معبر شعب
يسترد الحريةَ المغصوبهْ . . !

أكتوبر ١٩٥١

أغنيات بلا نهاية

الوردة والبلبل

لعلّكِ مثلى تودّينَ أن تلتقىِ شفتانا
وأن تتشابك كالعاشقيْنِ يدانا
ويحيا هوانا . . .

* * *

وعند المساء
وفى الليل حين ينام الضياء
يدق نوافِذَ روحى بألفِ جناح
فأفتح شبَّاكنا للصباح . .
لعصفورة زقزقت فى ضلوعى
لحلمٍ ربيعى . . !

* * *

وبالأمس حين جلستُ إليكِ ، فحدّقتِ فىّ

بصمتِ نبيّ
بوجهٍ حييّ
بعينين قد قالتا . . كل شيء . . !

. . . . . .

١٩٥٥

كلمات حارة . .

كلمات لم أقلْها – بعدْ – للموغلِ فى غاباتِ روحى
للذى يقطفُ أزهارَ جروحى
ويُغنىّ لعذابى . . والتياعى
وارتعاشاتِ ينابيعى الخفيهْ
تحت أشجار المساء العنبريهْ
وهى تهفو لحبيب مرّ من غير تحيهْ
كان يوماً . . ومضى . .
فمضى دون وداعٍ . .
كان جلاّداً . . وكنّا : أنا والحب ضحيهْ
ثم ماتت كلماتى لم أقلها . . ! !

. . . . . .

١٩٥٥

صورة . . !

عيناك . . ما هذا الأسى فيهما
ياجنة تبكى بأنسامها . . ؟
أى خريف مر فى شطها
وذاب فى مبحوح أنغامها

° ° °

عيناك . . تحكى قصة رفرفتْ
يوماً على الروض بأحلامها
ذكرى حبيب لم يبح بالهوى
لروحك الحيرى . . بأوهامها
وعلّق الزهرة فى غصنها
مشنوقة العطـــــر بأكمامها

. . . . . .

١٩٥٣

حبيبتى الصغيرة

منذ أن مات أبى
من سنين لم أعد أذكر منها
كلَّ يوم مرَّ بى
وأنا أطرق أرض الله فى صمت حزين
وبأعماقى غمامات دموع تتوارى
كلما أبصرت أختى
كلما أبصرتها تهتف بى
وبعينيها نداء صامت . .
قال أبى . . !

. . . . . .

. . . . . .

١٩٥٢

رسالة . . !

إليكِ فى هذا المساء الشاحب الحزين
إليكِ يا حمامتى البيضاء
أبعث بالأشواق
. . . بلهب الحنين
وأنفض الجراحْ
يا زهرة أوراقها صباح
وعطرها الحنون
ينقّط الرجاء فى السكون
وينثر الضياء . .
فى حدائق المساء
وبعدُ . . يا حبيبتى :

* * *

مازال وجهك الدُّرّى
ساطعاً على دمى
كأن وجهك القمر
يطل من شفوف غيمة بيضاء ،
جرّحها النسيم
فتزدهى الكروم ، والمياه ، والشجرْ
وتضحك الغيوم فى مباهج النماء

* * *

. . وكان يا حبيبتى . .
وأطبق الدجى . . !

. . . . . .

١٩٥٥

أغنية لعينيها . . !

لو أننى غنيت للربيع غنوتينْ
من وحى عينيك اللتين
أبحر الهوى إليهما
بسر عاشقين
لو أننى فى ضحوة الأزهار
فى شواطئ النهارْ
وأرج النسيم فى مباخر الأشجارْ
وفرحة الطيور بالرواح . .
لو أننى أرّقت قنديلَ الهوى
فى ليلة ممدودة الظلالْ
. . على بحيرة مسبلة الجفون
لأورقت على الربا الغصون

واستيقظ الربيعْ . .
وصفق النسيم فى بحيرة المساء
ورفرفت أجنحة الضياء
لو أننى غنيت للربيع . . لم يكن ماكان !

. . . . . .

١٩٥٥

بقية الكأس

عندما علّقت فى الوهم يديكِ
فى يديا
أشرقت منكِ عليّا
بسمة من شفتيكِ
لامست شوقى إليكِ
ثم نادت شفتيا
وسرت منك إليا
نظرة تنشر ظلا قمريا
نظرة تحصد ما أبقته منى
ذكريات الهجر فى ثورة قلبى
ذكريات لم تزل تصرخ . .
يا أجمل حبى . . !

١٩٥٥

هكذا يغنى الغرباء . .

عندما كنت أغنى للقمرْ
والحقول الخضر . . والريح . . وأغصان الشجرْ
والعصافير التى ترجف فى ليل الشتاء
والمساءْ
والنجيمات المضيئهْ
والفراشات الوضيئهْ
وأنا أمضى ، وأشواقى تغنى للطريق
لغريب مرّ من غير رفيق
لغريب قد تمنى أن أوافيه هناكْ
— : . . آه ما أسعدنى يوم أراك
آه لو تعرف آلام الطريق
هذه الأشواك أدمت قدمينا !

قالها . . ثم مضينا
وافترقنا . . والتقينا
ثم عدنا . . فمشينا
فحديد القيد ، لا يقتل أشواق القلوب
. . . . . .

محكمة !

(واحكمْ قاضى النيابه
قدّامـــك مظاليمْ
عَوَجْ الطربوش على ناحيه
وحكم بْربعْ سنين
سنتين فى السجن العالى
واتنين فى الزانازين)
« بهية ويس »

.. لم يكن للنهار لون ، لأن السماء كانت حزينهْ
ولأن الرياح كانت سجينهْ
مرت السحب كالخطايا .. ركاما
أثقل الدمع زوحها الموهونه

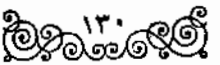

لم يكن للرجاء فى ذلك اليوم طريق
فقد أغمض الضياء عيونه

* * *

. . كانت الرحمة وهماً
مزقتهُ المحكمه
عندما جلجل صوت همجى :
محكمه ! .

. . . . . .

. . . . . .

١٩٥٤

مونولوج

كنتُ وحدى أرقب الليل يمرُّ
مثل نهر شاحب كان يمرُّ
لم تنم فوق ذراعيه غصونٌ . .
لم يضرّج خدَّه الأملس زهْرُ
أنا وحدى غارقٌ فى موجه الأسود
يطوينى الظـــــلام المكفهرُ
ساعةً يقتلها الصمتُ بقلبى ، فتفرُّ
. . وأرى عمـــــرى يفرُّ

* * *

إن فى الليل إذا عسعسَ أرواحاً تئنُ
وقلوباً فى حناياها العذاب المستكنُ
إن لليل دموعاً .. وحنينا
كدموع العاشقينا

* * *

يا شعوباً لم تزل تركض فى ليل الشتاء
فوق نـــــار ، ودمـــــاء
إن جلادك يقظان ، جريح الكبرياء
ودم النقمة يغلى فى عروقهْ
فاصرخوا فى الليل ..
.. فالروحُ إذا نامت تموتْ .. !

قصائد الديوان

	صفحة
تقديم	٣
إهداء	٨
تنويعات صوفية	١١
رحلة فى أعماق الكلمات	١٨
بطاقة بريد من (سراييفو)	٣٠
الحصان المسحور	٣٥
أغنية للصيف	٤٢
بكائيات قديمة	٤٦
عندما أيقظنى الشعر	٥٢
امرأة فى الليل	٥٦
صرخة إنسان	٦٠
عندما نحب	٦٦
العودة	٧٤
حديث إلى القمر	٨٢
عينان	٨٦
السندباد العربى	٨٨

صفحة

لن يمر الأعداء ٩٨
عودة الشهداء ١٠٢
من كتاب الحرية ١٠٧

أغنيات بلا نهاية

الوردة والبلبل ١١٧
كلمات حارة ١١٩
صورة ١٢٠
حبيبتي الصغيرة ١٢١
رسالة ١٢٢
أغنية لعينيها ١٢٤
بقية الكأس ١٢٦
هكذا يغني الغرباء ١٢٧
محكمة ١٢٩
مونولوج ١٣١

رقم الإيداع	١٩٨٠/١٥٧٦
الترقيم الدولي	ISBN ٩٧٧ - ٢٤٧ - ٩١٠ - ٩

١/٧٩/٥٧

طبع بمطابع دار المعارف (ج. م. ع.)